الرسالة الحاتمية

وتسمى الموضحة لأبي علي محمد بن الحسن بن المظفر الكاتب اللغوي البغدادي المعروف بالحاتمي، شرح فيها ماجرى بينه وبين أبي الطيب المتنبي من اظهار سرقاته وابانة عيوب شعره، وانا نورد ماذكره في مقدمتها من السبب في ذلك قال :

لما ورد أحمد بن الحسين المتنبي مدينة السلام منصرفا عن مصر ومتعرضا للوزير أبي محمد المهلبي بالتخييم عليه، والمقام لديه، التحف رداء الكبر، وأذال [1] ذيول التيه، ونأى بجانبه استكبارا، وثني عطفيه جبرية وازورارا . فكان لا يلاقي أحداً الا أعرض عنه تيها، وزخرف القول عليه تمويها، تخيل عجبا اليه، أن الادب مقصور عليه، وأن الشعر بحر لم يرد نمير مائه غيره، وروض لم يجن نواره سواه، فهو يجني جناه، ويقطف قطوفه دون من تعاطاه . وكل مجر في الخلاء يسر، ولكل نبأ مستقر، فعبر جاريا على هذه الوتيرة مدة مديدة، أجرته رسن البغي فيها، فظل يمرح في تيهه حتى اذا تخيل انه السبّاق الذي لا يجارى في مضمار، ولا يساوى عذاره بعذار، وانه رب الكلام ومقتض عذارى الالفاظ، ومالك رق الفصاحة نثرا ونظما، وقريع دهره الذي لا يقارع فضلا وعلما . وثقلت وطأته على كثير ممن وسم نفسه بميسم الادب، وانبط [2] من مائه أعذب مشرب فطأطأ بعض رأسه، وخفض بعض جناحه، وطأمن [3] على التسليم له طرفه.

(١) اذال هنا بمعنى أرسل (٢) انبط أي استخرج (٣) طأمن ظهره أي أحناه وطأمن طرفه خفضه وغضه وهو كناية عن الخضوع له والاذعان لفضله عليهم

وساء معز الدولة أحمد بويه، وقد صورت حاله ان يرد حضرته وهي دار الخلافة، ومستقر العز وبيضة الملك — رجل صدر عن حضرة سيف الدولة بن حمدان، وكان عدوا مباينا لمعز الدولة فلا يلقى أحدا بمملكته يساويه في صناعته، وهو ذو النفس الابية والعزيمة الكسروية. والهمة التي لو همت بالدهر لما تصرفت بالاحرار وصروفه، ولا دارت عليهم دوائره، وتخيل الوزير المهلبي — رجلا بالغيب — ان أحدا لا يستطيع مساجلته، ولا يرى نفسه كفؤا له، ولا يضطلع باعبائه، فضلا عن التعلق بشيء من معانيه!! وللرؤساء مذاهب في تعظيم من يعظمونه، وتفخيم من يفخمونه، وتكرمة من يراعونه ويكرمونه، وربما حالت الحال، وأوشكوا من هذه الخليقة الانتقال، وتلك صورة الوزير المهلبي في عوده عن رأيه هذا فيه

ولم يكن هناك مزية يتميز بها أبو الطيب عن المجيد المذرع من أبناء الادب فضلا عن العتيق القارح الا الشعر، ولعمري ان أفنانه فيه كانت رطبة، وجناه عذبة، فهدت[1] له متبطا عواره، ومقلما أظفاره، ومذيعا أسراره، وناشرا مطاويه، ومعتقدا من نظمه ما تسمح فيه، ومتحينا ان نجمعنا دار يشار الى ربها، فأجرى أنا وهو في مضمار يعرف به السابق من المسبوق، واللاحق من المقصر عن اللحوق، وكنت اذ ذاك ذا سحاب مدراره، وزند في كل فضيلة واره، وطبع يناسب صفو العقار، اذا وشيت بالحباب، ووشت بها سائر الاكواب، هذا وغدير الصبا صاف، ورداؤه ضاف، وديباجة العيش غضة، وأرواحه ممتلة، وغمائمه منهلة، وللشبيبة ثمرة[2] وللاقبال من الدهر غرة، والخليل تجري يوم الرهان باقبال أربابها، لا بعروقها ونصابها، ولكل

(١) أي برزت وصمدت (٢) حدة ونشاط

امرئ حظ من مواتاة زمانه، يقضي في ظله أرب، ويدرك مطلب، ويتوسع مراد ومذهب

حتى اذا عدت عن اجتماعنا عواد من الايام، قصدت مستقره، وتحتي بغلة سفواء[1] تنظر عن عيني باز، وتتشوف بمثل قاد متي نسر، وهي مركب رائع وكأني كوكب وقاد من تحته غمامة يقتادها زمام الجنوب، وبين يدي عدة من الغلمان الروقة[2] مماليك وأحرار، يتهافتون تهافت فريد الدر عن اسلاكه، ولم أورد هذا متبجحا ولا متكثرا بذكره، بل ذكرته لأن أبا الطيب شاهد جميعه في الحال، ولم ترعه روعته، ولا استطفه زبرجه[3] ولا زادته تلك الجملة التي ملأت أنهمة طرفه وقلبه الا عجبا بنفسه، واعراضا عني بوجهه، وقد كان أقام هناك سوقا عند اغيلمة لم ترضهم العلماء، ولا حركتهم رحا النظراء، ولا أنضوا افكارا في مدارسة الادب، ولا فرقوا بين حلو الكلام ومره، وسهله ووعره، وانما غاية احدهم مطالعة شعر ابي تمام وتعاطي الكلام على نبذ من معانيه، او على ما تعلقت الرواة مما يجوز فيه، فألفيت هناك فتيه تأخذ عنه شيئا من شعره

فحين أوذن بحضوري، واستؤذن عليه لدخولي، نهض من مجلسه، واذا تحته أخلاق عباءة قد ألحت عليها الحوادث فهي رسوم دائرة، وأسلاك متناثرة، فلم يكن الا ريثما جلست فأتانا فنهضت فوفيته حق السلام، غير مشاح له في القيام، لأنه انما اعتمد بنهوضه عن الموضع أن

«١» سفواء أي خفيفة سريعة «٢» الروقة بضم الراء جمع رائق وهو الحسن الذي يروقك أي يعجبك «٣» الزبرج بالكسر الزينة من وشي أو جوهر ونحوه والذهب والسحاب الرقيق والمراد الاول

لا ينهض الي ، والغرض كان في لقائه غير ذلك ، وحين لقيته تمثلت بقول الشاعر :

وفي المشي اليك علي عار ولكن الهوى منع القرارا

فتمثل بقول الآخر :

يشقى رجال ويشقى آخرون بهم ويسعد الله أقواماً بأقوام
وليس رزق الفتى من فضل حيلته لكن جدود وأرزاق بأقسام
كالصيد يحرمه الرامي المجيد وقد يرمي فيحرزه من ليس بالرامي

واذا به لابس سبعة أقبية كل قباء منها لون ، وكنا في وغرة القيظ وجمرة الصيف ، وفي يوم تكاد دوائع الهامات تسيل فيه . فجلست مستوفزاً[1] وجلس متحفزاً ، وأعرض عني لاهيا ، وأعرضت عنه ساهيا أؤنب نفسي في قصده ، واستخف رأيها في تكلف ملاقاته ، فتبر هنية[2] ثانيا عطفه ، لا يعيرني طرفه ، وأقبل على تلك الزعنفة[3] التي بين يديه ، وكل يومي اليه ، ويوحي بلحظه ، ويشير الى مكاني بيديه ، ويوقظه من سنته وجهله ، ويأبى الا ازوراراً ونفاراً ، وعتواً واستكباراً . ثم رأى ان يثني جانبه الي ، ويقبل بعض الاقبال علي ، فأقسمت بالوفاء والكرم ، فانهما من محاسن القسم ، انه لم يزد على ان قال ايش خبرك ؟! فقلت بخير أنا لولا ما جنيته على نفسي من قصدك ، ووسمت به قدري

«١» أي منتصبا غير مطمئن ونحوه متحفز «٢» غير : مكث وبقي ومن معانيه ذهب ومضى فهو من الاضداد ، وهنية كهنيهة تصغير هنة الاولى بناء على ان لامها واو والثاني بناء على انها هاء ويكنى بالهنة عن أي شيء والمراد هنا ساعة لطيفة أو مدة قليلة «٣» الزعنفة الطائفة من كل شيء وكل جماعة ليس أصلهم واحداً

من ميسم الذل زيارتك ، وجشمت رأيي من السعي الى مثلك ، ممن لم تهذبه تجربة ، ولا أدبته بصيرة ، ثم تحدرت عليه تحدر السيل الى قرارة الوادي ، وقلت له أبن مم تيهك وخيلاؤك ، وعجبك وكبرياؤك ، وما الذي يوجب ما أنت عليه من الذهاب بنفسك ، والرمي بهمتك الى حيث يقصر عنه باعك ، ولا يطول اليه ذراعك ، هل ههنا نسب انتسبت الى المجد به ، أو شرف علقت باذياله ، أو سلطان تسلطت بعزه ، أو علم تقع الاشارة اليك به ؟؟ انك لو قدرت نفسك بقدرها ، أو وزنتها بميزانها ، ولم يذهب بك التيه مذهبا ، ما عدوت ان تكون شاعرا مكتسبا ، فامتقع لونه ، وغص بريقه ، وجعل يلين في الاعتذار ، ويرغب في الصفح والاغتفار ، ويكرر الايمان انه لم يتبيني ولا أعتمد التقصير بي ، فقلت ياهذا ان قصدك شريف في نسبه تجاهلت نسبه ، أو عظيم في أدبه صغرت أدبه ، أو متقدم عند سلطانه خفضت منزلته ، فهل المجد تراث لك دون غيرك ؟ كلا والله لكنك مددت الكبر سترا على نقصك ، وضربته رواقاً حائلا دون مباحثتك . فعاود الاعتذار ، فقلت لا عذر لك مع الاصرار ، فأخذت الجماعة في الرغبة الي في مباشرته وقبول عذره ، واستعمال الاناة التي تستعملها الحرمة عند الحفيظة ، وأنا على شاكلة واحدة في تقريعه وتوبيخه وذم خليقته ، وهو يؤكد القسم انه لم يعرفني معرفة ينتهز معها الفرصة في قضاء حقي ، فأقول ألم استأذن عليك باسمي ونسبي ، أما كان لك في هذه الجماعة من كان يعرفني لو كنت جهلتني ؟ ، وهب ان ذلك كذلك ألم ترَ شارتي ، أما شممت عطر نشري ، ألم أتميز في نفسك عن غيري ؟؟ وهو في أثناء ما أخاطبه — وقد ملأت سمعه تأنيباً وتفنيداً — يقول خفض عليك

اكفف من غربك [1] أردد من سورتك [2] استأن فان الاناة من شيم منك، فأصحب [3] حينئذ جانبي له، ولانت عريكتي في يده، واستحييت من تجاوز الغاية التي انتهيت اليها في معاتبته، وذلك بعد رضته رياضة الصعب من الابل، وأقبل علي معظما، وتوسع في تقريظي مفخما، واقسم انه ينازع منذورد العراق ملاقاتي، ويعد نفسه بالاجتماع معي، ويسوقها التعلق الى أسباب مودتي

فحين استوفى القول في هذا المعنى استأذن عليه فتى من فتيان الطالبين الكوفيين فأذن له، فاذا حدث مرهف الاعطاف تميل به نشوة الصبا فتكلم فأعرب عن نفسه: فاذا لفظ رخيم ولسان حلو واخلاق فكهة وجواب حاضر وثغر باسم في أناة الكهول ووقار الشيوخ، فأعجبني ماشاهدته من شمائله وملكني ما تيمته من فضله فجاراه أياما

قال ابن خلكان ومن هنا كان افتتاح الكلام بينهما في اظهار سرقاته ومعايب شعره، والرسالة طويلة تدخل في ١٢ كراسة تشهد لصاحبها بالفضل الباهر مع سرعة الاستحضار واقامة الشاهد

---

(١) المراد بالغرب هنا الحدة (٢) السورة هي الحدة أيضا (٣) أصحب الرجل صار ذاصاحب وأصحب البعير ونحوه ذل وانقاد بعد صعوبة كأنه دخل في الصحبة بعد الامتناع والمراد هنا انه لان له

الحرب أو التحكيم — سوانح وبوارح

قال بعض العلماء ان من برع في فن من الفنون يهتدي به الى سائرها ومراده أن بين مسائل العلوم مشابهة فمن قويت ملكته في مزاولة بعضها سهل عليه فهم البعض الآخر

ولدينا الآن مسألة من علم السياسة تشبه مسألة من مسائل النحو وقد اختلفت فيها الجرائد السياسية كما اختلفت النحاة في مسألتهم ، المسألة السياسية مسألة فشوده والنحوية مسألة التنازع ، يقول النحاة اذا تنازع عاملان في اسم فلا بد من إعمال أحدهما اذ يمتنع اجتماع مؤثرين على اثر واحد كما ثبت في علم الكلام ، واختلفوا في الاولى بالعمل من العاملين فذهبت طائفة الى ان العامل الاول أولى ، وقالت أخرى بل الاولى هو الثاني واستدل كل فريق بدليل ، كذلك المتكلمون في السياسة اتفقوا على ان الذي يستولي على فشوده واحد ولكن اختلفوا في تعيين ذلك الواحد واستدل كل فريق بما لاح له انه يؤيد جانبه

تقرأ في الجرائد الانكليزية وما على مشربها من الجرائد المصرية ان الحق واضح في جانب بريطانيا العظمى لانها فاتحة بمالها ورجالها مع مصر ، فهي شريكة لها في كل بلاد السودان الذي يعتبر ملكا للفاتحين ، ولأن السر ادورد مونسون سفير انكلترا في باريس أبلغ المسيو هانوتو ناظر الخارجية الفرنسوية السابق في ١٠ دسمبر سنة ١٨٩٧ ان الحكومة الانكليزية لا تسلم لدولة أوربية بدعوى تحتل بها جزءاً من وادي النيل

وان وزارة اللورد سالسبوري توافق وزارة اللورد روزبري على انه: اذا كانت فرنسا قد أرسلت حملة بأوامر سرية الى بلاد اشتهرت دعوانا عليها من زمن بعيد فاننا نعد عملها هذا غير ودي أو (عدائيا) كما قال السر ادورد غراي في مجلس النواب الانكليزي في ٢٨ مارس سنة ١٨٩٥

وتقول الجرائد الفرنسوية والجرائد التي على مشربها في مصر وغيرها: ان توفيق باشا الخديوي السابق قرر اجابة لطلب الانكليز ترك السودان المصري وكتب في ٢٦ يناير سنة ١٨٨٤ الى غوردون باشا حاكم السودان من قبله يأمره باجلاء الجنود والعمال المصريين من بلاد السودان كلها فصار بذلك السودان مباحا لكل فاتح كسائر الاراضي الافريقية المقرر في مؤتمر برلين ان من سبق الى شيء منها ملكه، وقد شرعت الحكومة الانكليزية تتصرف في السودان المصري من عام ١٨٩٠ فأخذت زيلع وأعطت هرر لايطاليا ولادو لولاية الكونغو بل خصصت نفسها بالاقاليم الاستوائية الخصبة وأجرت للكونغو ما شاءت

فان كان تصرفها هذا صحيحا فلماذا لا يكون تصرف فرنسا صحيحا مثله ؟ وان كانت البلاد لما تزل ملك الحكومة الخديوية العثمانية فما هذا التصرف وما هذا الامتلاك والاشتراك بالفتوح الذي تدعيه؟ وأما قولها انها لاتسمح لاية دولة باحتلال أي جزء من وادي النيل فهو لا يقتضي امتلاكها لوادي النيل واعطاءها الحق بالاستئثار به! والا لأمكن لكل دولة أن تمتلك من الارض ما تشاء بكلمة كهذه تقولها . وقد زعمت بعض الجرائد ان المسيو هانوتو لم يرد على كلمة السر ادوارد السابقة، لكن الكتاب الازرق الذي أصدرته الحكومة الانكليزية من عهد قريب

وضمنته المذاكرات التي جرت في مسألة فشوده بين انكلترا وفرنسا من شهر دسمبر سنة ١٨٩٧ الى ٣ اكتوبر الجاري مع ملحق فيما دار بين الحكومتين من أغسطس سنة ١٨٩٤ الى ابريل سنة ١٨٩٥ قد جاء فيه أن المسيو هانوتو أجاب سفير انكلترا «عن بلاغه الذي تقدم» بأن سفير فرنسا في لوندره اعترض على ذلك في إبّانه وانه هو رد ذلك القول في مجلس الشيوخ في ٥ ابريل سنة ١٨٩٤ ولم ترد الحكومة الانكليزية على رده

أما نحن معاشر العثمانيين عموما والمصريين خصوصا فنقول ان حجج الفريقين داحضة فالبلاد السودانية هي من الممالك الشاهانية ، والخديويون لا يملكون اخراجها منها ، لأن الذي يولي الخديوي على البلاد يجدد له سلطة ليس هذا منها . فتخلي توفيق باشا عن السودان لا يجعله مباحا لمن سبق وغنيمة لمن فتح ، مالم يجزه على ذلك السلطان الاعظم اجازة رسمية . واذا فرضنا صحة التخلي فلا مندوحة عن القول بأن جميع ما احتلته فرنسا صار لها ، وكذلك ما أخذته انكلترا من زيلع وغيرها وما وهبته جائز صحيح ، وما فتح باسم الحكومة الخديوية فهو للحكومة الخديوية ليس لانكلترا فيه شيء ، لانها لم تكن الا مساعدة على سبيل التبرع ، ولو كانت شريكة لم يكن السردار «باشا» ولا بسا للطربوش !! ولم تكن النفقات كلها من الخزينة المصرية بل كانت مناصفة ! وكانت الـ ون ألف جنيه داخلة في ضمن الحساب ولم تعط دينا ويسمح بها بعد ذلك سماحا

لكن السياسة ليس فيها حق وباطل وصحيح وفاسد ، وانما هي قوة تفعل وضعف ينفعل ، ولذلك نرى الجرائد الانكليزية ترمي في الاحتجاج

الى غرض آخر وهو انها تطلب من فرنسا أن تمثل قسمها مكان الانكليز في مصر ، وعاملة عملها في الاجتهاد بفصل السودان ثم باعادته ، وتعبها في القبض على أزمة الحكومة المصرية وادارة معاملها على الوجه الذي تتحقق به أمانيها!! أفيسهل عليها وترضى بعد وشك الوصول الى الغاية الاخيرة والحصول على الرغبة المتوخاة أن تحول انكلترا أو غيرها دون مرامها وتصد سهمها عن غرضها ومرماها ؟؟ . لاريب ان فرنسا اذا تمثلت هذا وتنكبت خطة السياسة واتبعت خطة الأنجيل الشريف الذي يأمر بما اتفقت عليه الشرائع من عهد كونفوشيوس الصيني الى الآن من أن يعامل الناس كل أحد بما يحب أن يعاملوه به فهي تسلم فشوده للانكليز وتترك لهم وادي النيل ! . ونحن نطلب من انكلترا أن تعامل مصر والدولة العثمانية بما تحب أن تعامل هي به اذا فرض ان القوة أمكنتها من احتلال بلادها ،

السياسة وراء الدين والادب وليس تقوم عليها حجة أو تنصاع لآية غير القوة ، ولذلك نرى الدولتين الان تتهيأن للحرب والكفاح وتعدان الاساطيل العظيمة التي لا يوجد عند غيرهما مثلها قوة وكثرة . ويظهر ان الفريقين مصممان على عدم الاقتناع بالمذاكرات الودية اذ لا حجة قيمة لواحد منهما تقنع به خصمها وتعتذر به الحكومة المنصاعة لأمتها التي تناقشها الحساب ، وانما هما طمعان يتناطحان فاذا لم يحل بينهما حائل فلا بد أن ينتهي الامر بغلبة أحدهما بالقوة

كل من الدولتين تخاف الحرب لعلمها بأن خسارتها أكثر من ربحها ولاسيما مع الاكفاء ، ولكل واحدة منهما صوارف ليست للاخرى .

أما انكلترا فانفرادها بعدم حليف لها، وحليفة خصمها أقوى الدول بأسا وأصبها مراسا، وكون الملكة تأبى أن تختم أعمالها السلمية في عمرها الطويل بالحرب الهائلة التي يذهل تصورها العقول ويدهش الالباب وكونها شديدة الحرص على المال مبالغة في الاقتصاد، وخوفها من خروج مستعمراتها عليها اذا هي اشتبكت بمحاربة دولة قوية تشغلها عن كل ماسواها. وأما فرنسا فتعطيل معرضها الذي تستمد له من سنين، وفتنة دريفوس التي أقامت الامة وأقعدتها وعدوتها الكبرى المانيا. ومن رأينا ان الحرب ربما كانت مسكنة لحركة فتنة دريفوس لأن المهم يتلاشى في الأهم، وان ألمانيا تود ان تقع الحرب بين الدولتين وتبقى هي على الحياد حتى اذا ما ضعفتا معا أمنت شر فرنسا وطلبها الالزاس واللورين، ومعارضة انكلترا في الاستعمار والتجارة بل وفرنسا أيضا وفي ذلك أعظم نهضة لها، وماذا تتوقع من التعرض لفرنسا، وروسيا القوية حليفة فرنسا من وراء ظهرها وفي تعرضها الخطر على أوربا كلها!!

فاذا قلنا ان الجرائد حمست الأمتين ونفخت في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية وعلمنا ان الحمية وعزة النفس أخوف ما يخاف من أمم أوربا على حكوماتها اللاتي لا يمكنها مخالفة الشعب اذا هو طلب شيئا فلا جرم انه لم يبق من مانع للحرب الا التحكيم وهو ما أشارت به بعض الجرائد الروسية

اذا اتفق الخصمان على تحكيم الدول العظام في المسألة فلمن يكون الفلج والظفر؟ هل تنصف تلك الدول فتقول لها لا حق لكما فأديا صاحب الحق حقه واخرجا من السودان بسلام وسلماه للحضرة الخديوية نائبة السلطان الاعظم صاحب السيادة الحقيقية؟ واذا قالت الدول هذا فهل ترضى

فرنسا به والاحتلال الانكليزي في مصر على حاله؟ أم تقول ان هذا التسليم لا يتم الا بالجلاء عن مصر وهو ما تنتظر نهزة مثل هذه لتقوله؟ وهل يرضى اللورد سالسبري المناقشة الاوربية في المسألة المصرية بعد ما أبداه كدفي الكتاب الازرق رسميا انه يأبى مثل هذا كل الاباء؟ أم تقسم أوربا السودان بين الدولتين وتسكت عن الاحتلال؟

كل ذلك غيب مجهول ولكن الذي نعلمه ان ميزان سياسة أوربا الآن في يد القيصرين العظيمين نقولا وغليوم، والاول حليف فرنسا والثاني عدوها، ولكنه صديق جلالة السلطان صاحب مصر والسودان، فاذا كانت هذه الصداقة توازي تلك العداوة فيترجح السكوت وعدم الميل لاحد الجانبين، لكن ألا يوجد مرجح آخر يجذب الامبراطور غليوم لجعل الترجيح لمن يميل هواه؟ نقول كان يرجى أن يستميله الآن مسالمة وموادة المانيا لروسيا من أهم الاسس السياسية التي أسسها بسمارك وحافظ عليها طول حياته ولم يظهر ما يكدرها من بعده الا ما نقله لنا البرق في هذا الاسبوع من ان سفارة روسيا في الاستانة لم ترفع رايتها لقدوم الامبراطور كسائر الدول، والسفن الروسية لم تزين بالرايات والاعلام كغيرها، فاستوقف ذلك الانظار وحرك سواكن الافكار، ولا يزال البرق والبريد ينقلان لنا منذ عزم الامبراطور على زيارة الاستانة والقدس أخبار اهتمام روسيا وفرنسا لذلك، خشية من زيادة نفوذه المضعف لنفوذهما في بلاد الدولة وحذر من مداخلته في حماية المسيحيين (وهي أشد عوامل الدولتين في بلادنا) وقد صرحوا بأن شدة تقرب المانيا من تركيا يخل بموازنة الدول! ولعمري لا معنى لهذا الا توقع المحالفة

فاذا استطاع مولانا السلطان الاعظم أن يستفيد من هذه الاحوال مايضمن له حفظ بلاده بالتوفيق بين ضيفه الامبراطور وروسيا وفرنسا واجماع رأي الاربع على حل عقدة المسألة المصرية فهو أحكم حكماء السياسة وأشدهم دهاء وأبعدهم غورا وأحصفهم رأيا، وتظهر حكمة سكوته عما جرى في مصر والسودان الى الآن، وينسي الامة رزء كريت وما بين يديه وما خلفه من المصائب والارزاء، وان كانت نتيجة زيارة الامبراطور شدة نفور روسيا وفرنسا منا في هذا الوقت الحرج الذي طرقت فيه أبواب المسألة المصرية ، ويرجى باتفاق من ذكرنا ان يفتح رتاجها ويقوم اعوجاجها ، وفوز الضيف العظيم بالامنية ودولة المضيف الكريم بالرزية ! فانها نتيجة خسيسة ، ومغبة تعيسة، وأجدر بمولانا السلطان الاعظم أيده الله تعالى أن لاينيل الامبراطور غليوم شيئا من رغائبه ، اذا هو أعرض عن موافقته على أجل مآربه، فقد حلب الدهر أشطره، وعرف حلوه ومره، وابتلى نفعه وضره ، وهو خير كنفؤ كريم لهذا شد الله تعالى أزره، ويسر أمره، ورفع ذكره آمين

﴿ رسالة التوحيد ﴾

كما دلت هذه الرسالة على ترقي العلم بترقيتها دلت على رواجه برواجها واننا نرى ونسمع كل يوم أحاديث الاعجاب بها والتنافس فيها وقد اطلعنا على رقيم لحضرة الكاتب البليغ صاحب العزة الامير شكيب ارسلان بعث به الى فضيلة الاستاذ المفضال مؤلف الرسالة قال فيه :

« قرأت رسالة التوحيد ولم أزدد بكم علما الا انني سررت لكم بنشرها